Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

مديح الأوطان والبلدان

١ ـ مديح الأوطان

أحبّ الإنسان الأرض التي عاش فيها أكانت قاحلة أم خصبة، لأنّها رافقت عهدًا من عهود حياته وعرفت شطرًا من أيّام عمره، فحنّ إليها وهو بعيد، واطمأنّ إليها وهو قريب، فانشد فيها شعره حنينًا وحرقة، وامتدح فيها الخير والبركة والنعيم لا لأنّها خير وبركة ونعيم حقًّا بل لأنّها قطعة من عمره وفلذة من وجدانه. وقد اشتهر العرب في هذا المديح منذ الجاهلية وما زالوا حتّى اليوم.

يقول أحد شعراء العرب القدماء أحمد بن يحيى في بلاده التي أحبّها:

أحــبُّ بلاد الله مــا بيــن منعــجٍ إلى دار سلمى أن يصـوبَ سحـابُهـا
بلادٌ بهـا حـلّ الشبـاب تمــائمــي وأوّلُ أرضٍ مسّ جلـدي تــرابُهــا

فتلك الأرض التي لامس جلده ترابها للمرة الأولى هي أحبّ أرضٍ إليه، وهي بالتالي وطنه وموضع حبّه وتقديسه، وهو بذلك لا يخرج عن التعريف البسيط الصحيح للوطن، لا تدخله فلسفة ولا منطق، ولا تحدّه علوم وقوانين، ولا تفرضه حقوق أو واجبات.

ثم نرى ابن الرومي يزيد على زميله تعريفًا بالوطن حين يقول: